الاسلام وعمل المرأة

للشيخ ابراهيم السلفيتي المدرس بكلية الشريعة

لقد عنى الاسلام أتم العناية باعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فى بناء صرح المجتمع على اساس من الدين والفضيلة ، والخلق القويم ، وفى حدود خصائص كل من الجنسين الرجل والمرأة ، فرفع شأنها ، وكون شخصيتها ، وقرر حريتها ، ثم اناط بها من شؤون الحياة مايتلاءم مع طبيعتها ، فاذا نهضت باعبائها أصبحت زوجة صالحة ، وأما مربية ، ودعامة قوية فى صرح المجتمع اذا صلح المجتمع كله .

لقد اعتبر الاسلام المرأة كائنا انسانيا مكرما فحفظ عليها حريتها ، وأجاز لها التصرف كما تشاء فى أموالها ضمن الدائرة المشروعة ، وجعل لها حقا فى الميراث فقال تبارك وتعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون)(١) ، وجعل لها الحق فى أن تملك وتبيع وتشترى ، وتهب وتقبل الهبة ، وترهن وتعقد باسمها العقود ، دون حاجة الى اذن زوجها أو ولى امرها ، ولايوزن الاسلام فى ذلك بأى تشريع حديث ، فان حالة المرأة فى فرنسا الى الان أشبه بحالة الرق ، فلا يجوز للمتزوجة مثلا بيع ولاشراء ولاهبة ولارهن ولاعقد الا باذن زوجها ، وفى أكثر النظم المبتدعة تقلب المرأة اسم اسرتها وتنسب الى اسرة زوجها ، وفقدان الاسم رمز وعنوان لفقدان الشخصية ، ولو أردنا ان نعدد مامنحه الاسلام للمرأة وماخصها من مزايا لطال بنا المجال ، وحسبنا أن نعلم ان المرأة قد تحررت فى ظل الاسلام الى درجة لم تبلغ ولن تصل اليها فى ظل أى فلسفة او نظام اخر ، ويعرف كل انسان ذلك ، ولاينكره الا من ختم على قلبه ، فحجب عن رؤية الحق والاعتراف به . كما اعتبر الاسلام المجتمع جهازا تؤلف المرأة نصفه ، او قل ان الرجل هو احدى رئتى المجتمع والمرأة هى الرئة الاخرى ، بكلتيهما يتنفس المجتمع ويحيى ، فالرجل والمرأة فى خضم هذه الحياة كمؤسسى شركة او

---

(١) سورة النساء آية (٧)

مصنع وزعت اعمـــاله المتعددة على العاملين فيه ، وكَل يقوم بنصيبه ، ولكل فيما يعمل علم وحكمةوتدبير، فلا ينكر احد ان دور المرأة فىالمجتمع غير دور الرجل ، ولو كانت مهمتها تشبه مهمة الرجل لكان المجتمع غير صالح للبقاء سواء اكـــان مؤلفا من الرجال وحـــــدهم ، أو من النساء وحدهن، أما ولكل من هذين الكائنين عمله واختصـــــاصه فلا بد اذن من توفرهما معا ليحصل للمجتمع كماله، وهكذا فالمرأة نصف وجودنا الـــذى نزاحم به ونكاثر ونبنى ، وهى أيضا التى تصنع تاريـــــخ النصف الاخر وتلهمه ، فهل للمرأة رسالة اعظم من هذه الرسالة لو أديـــت على وجهها الصحيح لما وجدت المرأة متسعا من الوقت ، ولافراغا من الزمن ٠

وخروج المرأة من البيت احـــدى المشكلات الهامة فى العصر الحاضر ، والحقيقة ان خروج المرأة من بيتها او عدم خروجها منه مرتبط بمهمة المرأة وواجباتها فى هذه الحياة ، وماألقى على عاتقها من أعباء ، ثم نرى صلة ذلك بخروجها من البيت ٠

ماهى المهمة الرئيسية للمرأة فى هذه الحياة ؟ وماهى واجبات الرجل؟ لاشك أن الرجل والمرأة هـــما عماد البيت ، ومما لاريـــب فيه أيضا أن سعادة البيتوبالتالى المجتمع لاتتوفر الا حينما يعرف كل من الرجلوالمرأة ماله وماعليه بغيـــة تحقيق السعادة المنشودة ، فالرجل بما وهبه الله من القوة الجسمية جعله قواما على المرأة يعتنى بشئونها وشـــؤون اطفالها ، وينصرف الى عمله ليكسب القوت له ولافراد اسرته ، ويؤمن لهـم الحياة الكريمة فمجال عمله اذن خارجالبيت، وهذا لايشك فيه أحد ، وهنا يأتىدور المرأة حيث يتاح لها ان تنصرف الى شئون البيت الداخلية ، والاشرافعلى تربية أطفـــــالها واشاعة الحبـور والسعادة فى بيتها وقـد وضع عنها الاسلام جميع الواجبات التى تتعلق بخارج البيت ، فلا تجبعليها صلاة الجمعة ولايجب عليها الجهاد الا فى حالة النفير العام ، ولم تطلب منها صلاة الجماعة ولا حضور المساجد ، وان كان قد رخص لها حضورالمساجد

صفوة القول : ان خروج المرأة من البيت لم يحمد ، وخير الهـــدى فى الاسلام أن تلازم المرأة بيتها كما تدل عليه الايةالكريمة(وقرنفىبيوتكن) (١) دلالة واضحة ، ولـــكن الاسلام لم يشدد فى هذا الباب لكـــون خروج المرأة من بيتها قد يكون من اللازمفى بعض الحالات كخـــــروجها لحج او مداواة او أداء شهادةولايغير ذلكشيئا من القاعدة فى نظام الاجتماع الاسلامى وهى أن دائرة عمل المرأة هى البيت،

---

(١) سورة الاحزاب آية (٣٣)

وأن الدروس التى يتلقاها الطفل فى حجر امه سيكون لها اكبر الاثر فى مستقبل حياته •

وعلى هذا فاذا تجـاوزت المرأة الحد ، واسرفت فى الخروج من البيت، فمن للاطفال ليرعاهم ؟ ومن للبيت يشرف عليه اشرافا دقيقا ؟ هل يترك ذلك للخادمة ! وهل يهمها من شئون البيت مايهم صاحبته ؟ وهل كل بيت فيه خادمة ؟ وهل كل خادمة متعلمة عاقلة ؟ وهل هى جـديرة بما يلقى اليها من مهام تربوية وهى على كل حال امراة من جنسها • وصدق من قال :

ليس اليتيم من انتهى ابـواه من
هـم الحيــاة وخلفــاه ذليلا

ان اليتيــم هو الــذى تلقى له
أما تخلــت او ابــا مشغولا

فسعادة البيت لاتتحقق الا ان توجدها زوجة ، ولن يشيع الحنان الا ان تتولاه ام ، وفى سبيل الاستقرار البيتى ، وقطعا لدابر الفوضى والنزاع جعل الاسلام القوامة للرجل تمشيا مع سياسة التنظيم التى يحـرص عليها الاسلام حرصا شديدا، فتوحيد القيادة ضرورى لامن السفينة ، وفى سفينة البيت لابد من قيادة تتحمل التبعة ، ولكنها فى الاسلام قيــادة الرعاية والمسؤولية ، وليست قيادة التحـكم والاستعلاء ، فمن هو اهل لهذه القيادة؟ المراة المشبوبة العــواطف، السريعة الانفعال ! بحكم فطرتها التى تؤهلها لوظيفتها الاولى فى رعــاية الاطفال ، وتعطير جو البيت بالجمال ام الرجل الذى كلفه الاســلام الانفاق والقيام باعباء التكاليف البيتية لتخلو المراة الى عبئها الضخــم وتنفق فيه طاقتها ووسعها ؟

ولهذا جعل الاســلام لكل من الرجل والمراة وظيفــة اساسية ، فللمراة اختصاصها ومواهبها وللرجل اختصاصه ومواهبه ولابد ان يتوفر كل منهما على ماهىء له ، وهذا التباين الفطرى فى وضعهما ووظفيتهما هو سر تآلفهما وتعاطفهمــا ، فاذا انحرفت أنوثة المرأة واتجهت الى الرجولة ، وانحرفت رجولة الرجل واتجهت الى الانوثة والتخنث كان فى ذلك فساد المجتمع واضطرابه ، وكلـما اتجهت فطرة الرجل أو المرأة الى كمالها الذى هيأه الله لها اتجه العالم الى السعادة المنشودة والخير العميم ، فاذا اكتملت رجولة الرجل اكتمل حلمه وجلادته ، وشجاعته ، وتســاميه عن الريب ، وتفانيه فى سبيل الله ، واذا اكتملت انوثة المرأة اكتملــت معها الامومة السامية ،والزوجية السعيدة وتناهت معها معانى الرحمة والحب ، والوفاء والحنان ، ولذلك تــوخى الاسلام المصلحة العامة حين لم يطلق للمرأة الخروج من البيــت وقصر ذلك على مايعود بالفائدة على المرأة اولا ، وعلى المجتمع ثانيا •

ان المـــرأة فى البيت تصنع البطولات والفضائل ، وهى بعد ذلك المصدر الروحى لاشعاع الرحمةوالمودة كما ذكر القرآن الكريم (ومن آياتهأن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (١) وليست اشاعة المــودة والرحمة فى البيت بالامر الرخيص الهين الــذى يتصوره المحرومون فان الدنيا بمافيها من ذهب أو متاع لاتساوى فى ميزان الحق مثقال ذرة اذا خلت من المودة والرحمة والاستقرار · ومن سر المرأة الصالحة فى البيـــت أنها الجهاز الروحى الذى يلــقى فى روع الرجل أسرار القوة ومعانى الثقة ، وان كلمة واحدة منها وهو يشكو متاعب الزمان أو مكائد الرجال لكفيلة بأن تمــده بطاقات عجيبة من الهمة والامل والثقة فاذا به انسان جديد وبناء غير الذى يوشك أن ينهار · ان المرأة بقيامهاعلى المهد ، ورعايتها لاطفالها حق الرعاية انما تصنع مستقبل وطنها ، ولسنا ندرى عملا فى الحياة يفوق فى شرفه وسمو غايته هذا العمــل ، واذا كنا نقلد غيرنا فى عمل المرأة وخروجهامن البيت فلننظر الى واقع المــرأة عند غيرنا من الامم ، لقد كان من أفظع نتائج الحرب العالمية خطرا قتل مايقدر على الاقل بعشرة ملايين شـــاب من اوربا وامريكا فى ميدان القتال فنتج عن ذلك مجموعة من النتائج الخطيرة، حيث ملايين من الاسر قد وجـــدت نفسها فى نهاية الحرب بلا عائل اما لان عائلها قد قتل فى الحرب ، أوشوه بدرجة تعجزه عن العمل ، او فقد عقله وأعصابه بفعل الحياة الدائمة للخنادق والغازات السامة ، والغازات المدمرة، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الذين خرجوا من الشباب القادرين على العمل لم يكونوا كلـــهم على استعداد لان يتزوجوا ويكفلوا اسرة ، فان حياة الحرمان الشنيعة التى عاشوها أربع سنوات كاملة فى أثناء الحرب لم تترك فى نفوسهم فسحة لتحمل التبعات، والكدح فى سبيل الاخـــرين ، لقد خرجوا منهومين يريدون الاستمتاع فى الحياة ، يريدون أن يطفئوا السعار الملهوف ، فلا بأس بالمرأة كصديقة تستجيب للرغبة اللاهفة ، او جسدا يشترى بالنقود ، ولكن لامرحبا بها زوجة واما ، ومن ناحية ثانيـــة فان الدمار الذى احدثته الحـــرب كان يستلزم طاقة انتاجية هائلة للتعويض ولم يكن من تبقى من الرجـال كافيا لحركة التعمير الشاملة المطلوبة فى كل مكان ·

والتقى الامران على شىء واحد يجب على المرأة ان تعمل فى السوق والمصنع والمنجم ، وفى كل مكـــان يمكن أن تعمل فيه والا هلكت جوعا هى ومن تعول واضطرت المرأة كارهة او راغبة ان تترك حيـــاة المنــزل

(١) سورة الروم آية (٢١)

المستقرة ، وتنزل الى المعترك الصاخب الذى لا يرحم ولا يجير، وانتهزت المصانع والشركات فرصة الحاجة الملحة التى تعانيها المرأة فشغلت النساء بأجور أقل من أجور الرجال ، وان كن يقمن بنفس العمل ونفس القدر من الساعات، واصبحت للمرأة عندهم قضية ؟ هى قضية المساواة فى الاجـور ، لقد استخدمت المرأة لقضيتها كل سلاح من الاحتجاج والاضراب والتهديد ، ومع ذلك لم تظفر بنتيجة ، وبدا للمرأة انها طالما بقيت بعيـدة عن مصدر التشريع فلا فائدة ترجى من وراء الصياح ، ولابد أن يكون لها صوت فى البرلمان وقامت المرأة الـتى لم تكن تطالب سوى المساواة فى الاجور فى بادىء الامر قامت تقول نحن سيان فى الخليقة الرجـل لا يفضلنا بشىء ولا مزية له علينا ٠

نتساءل بعد كل هذا هل عندنا اسباب موضوعية لحدوث ماحدث عند غيرنا ؟ هل حدث فى تاريخنا القديم أو الحديث أن أعطينا المدرسات مثلا راتبا أقل من راتـب المدرسين كما تصنع انكلترا الى هذه اللحظة وكما يقول الاستاذ محمد قطب فى كتـابه معركة التقاليد بحجة أن المرأة تأخذ اجازة حمل وولادة ورضاع بينما الرجل لا يأخذ مثل هذه الاجازات ؟ هل حدث عندنا شىء غير الاستعمار الذى استعمر الارض بجنوده واستعمر كذلك كثيرا من القلوب والارواح والمشاعر والافكار فنشأت طبقة تقلد المستعمـر تقليد القرود ٠

ليست المرأة فى الاسلام لمجرد الولادة والحضانة والارضاع ، كما ان التربية فى الاسـلام ليست السب والشتم ، انما هى تكـوين فكرى ونفسى وخلقى للاطفال ، انـها جهد ضخم شاق يحتاج الى ثقة واختصاص، لذلك حرص الاسلام كل الحرص على تهذيب المرأة وتقـوية الايمان فى ضميرها وتوفير الضمانات المعيشيـة لها ٠ ان الاسلام يبذل كل هذا لانه يحسب دائما حساب الاجيال القادمة التى تقوم بتربيتها الاجيال الحاضرة، ويهذب الحاضر ليكون فى الغد نتاج نظيف ، وهو فى هذا يعنى بالرجل والمرأة كليهما ولكنه يعنى بالمرأة خاصة لان الام هى المنشئـة لخلق الاجيال ٠

وتقوم باخطر مهـمة فى حياة البشرية ، مهمة رعاية الانتاج البشرى، وصيانته من الفســاد ، والتحلل والانهيار ، وليس كما يقول الفارغون والفارغات اننا نعطل نصف المجتمع عن العمل، انها لحماقة مابعدها حماقة فى عصر التخصص ان تنزع المرأة من اختصاصها الذى لا يحسنه غيرها لكى تشترك فى الانتاج المادى الذى يملك الرجل أن يقوم به ، وتملك أن تقوم به العدد والالات ٠

واذا كنا فى عصر الاختصاص والتخطيط فجدير بنا ان نعرف كيف

خطط الاسلام ورســـــم لنا فى هذا المجال انه كما يفهـــم من نصوصه وقواعده يجيز للمرأة ان تعمل خارج البيت ضمن الشروط التالية :

١ ـ ألا يتعارض عملها خارج البيت مع وظيفتها الاساسية التى خلقت لها

٢ ـ أن يكون العمل ضمن الدائرة التى تختص ببنات جنسها وتتفق مع تكوينها الجسماني وفطـــرتها وذلك كالاعمال النسوية من تدريس للنساء وتمريض وتطبيب لهن .

٣ ـ ان تلتـزم حـــدود الاداب الاسلامية ومافرضه الله عليـــها من حجاب وماحرم من اختلاط . اماالعلم فهو فريضة ، كل مافى الامر انهاتتعلم مايناسب فطـــرتها ويعدها لمهمتها الكبرى ذلك لان القدرة الالهية حين فرقتهذا التفريق أرادت أن يكـــون للرجل اختصاص فى الحيـــاة غير اختصاص المرأة ، وماختلافالتكوين الجسمانى الا نتيجة ليتجـــه كل لما أعد له فأى المنهجين اصلـح للمجتمع وأليق بفطرة الحياة ان تثقف المرأة فى مهمتها وضمن دائرة وظيفتها او تثقف فيما ليس لهذه المهمة بصلة .

فاذا كانت الظروف تدعونا الى ان يكون من الفتيات طبيبـــات لبنات جنسهن او معلمات فلا بأس اما تعليم الكيمياء والهندسة مثلا وامثالهما من العلوم فضرب من الترف لايكون الا على حساب المهمة الاصلية التى اعدت لها الفتاة وعلى حســـاب مزاحمة الرجل ، لقد دخلـــت الفتاة كليـة الزراعة والهندسة والعلوم فى بعض البلدان ، فماذا جنت ؟ لم تجن الا خروجها من مشـــاعر الانـــوثة الى الاسترجال الخشن والمرأة امرأة مهما بلغت لاتستغنى عن أن تكون زوجة وأما لهذا تهدف فطرتها وتهفو نفسها فى حنان بالغ الى نعيم البيت والامومة

ان المدارس التى تعلم الطبيب كيف يحارب العلل وينقـــذ المرضى ، وتعلم التاجر كيف يـــروج بضاعته ويحسنها ، والـــزارع كيف يجود حاصلاته ونسلم من الافات ،والصانع كيف يتقن صناعته ويـــرقى بفنه ، والاديب كيف يجنى ثمـــار الادب وينتفع بها ، ان المدارس التى تعد كلا من هؤلاء لوظيفته ومـــركزه الخاص جدير بها ان تعد الفتاة ، ووظيفتها تختلف عن وظيفـــة الرجل للقيام بدورها الخطير . فمما لاشك فيهان الفتاة أحوج الى دراسة نفسية الطفل فى مراحـــل نموه ، ومعرفة طرق العناية به خلقيا وجسميـــا ، والى دراسة قواعد حفظ الصحة والنظـام منها الى دروس الميكانيك واحوج الى علم التدبير المنزلى والتفصيل منهاالى الهندسة الفراغية وحساب المثلثات ، وأحوج الى دروس الدين منها الىالعلوم الاخرى ، الدين الذى يهذب نفسهـــا ويسمو بعواطفها ، وينقـــى سريرتها ويطبعها طابع الامـــومة الصحيحة والخلق القويم ، ويعرفها بما لها وما

عليها تجاه زوجها وأولادها ٠

وعلى أى حال فقد كان للغرب ظروفه، وقد أعفانا الله من هـذه الظروف المدمرة ، أفلا نحمد الله بالرجوع اليه والسير فى الطريق الذى ارتضاه٠

لقد نسيت المرأة او تناست فى كثير من بلدان العالم أن البيت هو المقر الاساسى لها ، ونسيت مهمتها الرئيسية التى خلقت لها نسيت ان استقرارها فى بيتها وأداءها لواجبها لهو أكبر وأجل خدمة تؤديها لوطنها، ألا ليتها تدرك مالوظيفتها من أهمية، وأثر فى حياة الشعوب والامم ،انها أخطر من عمـل المعامل الذريـة والهيدروجينية ألا ليتها تعلم مقدار مايعود على البلد من عظيم النفع والمجد اذا قامت المرأة بواجبها فى اعـداد الجيل القادم وتنشئته تنشئة طيبة صالحة ، واعداده اعدادا قويا سليما فالمرأة الناضجة هى القادرة فى هذه الايام على تحمل المسؤولية فى ادارة شؤون البيت ، ومايتبعه من التزامات وفى رعـاية الاولاد والاشراف على تربيتهم وتهذيبهم فكيف توفق المرأة بين ماذكرت وبين ماعليه حالتها الان فى كثير من البلدان من اهمال لبيتها وأولادها حتى اصبح الوقت الذى تمضيه خارج البيت أكثر منه داخله٠

ان هنالك من يظـن أن فى استطاعة المرأة الجمـع بين اداء واجباتها العائلية والعمل الخارجى ، ولست أدرى كيف يمكن الجمع بين هذا وذاك مع وجود ماسبق ايضاحه وتحديده من المسؤوليات ؟ كيف توفق بين هذه الواجبـات التى تتطلب استقرارا فى البيت ؟ وبين ماهو حادث الان من قضائها اغلب وقتها خارجه ؟ تاركة للخدم مسؤولية البيت والاولاد وهم طائفة يعلم الله انهم لايفهمون مسؤولية انفسهم لما هم عليه من جهل مطبق واهمال شنيع ؟ وحادثة المربية التى استعانت بمـادة الافيون فى تخدير الطفل ليريحها من بكائه اثناء غياب والدته الموظفة ليست ببعيدة ٠

ثم لماذا تصر بعض النساء على فكرة الخروج من البيت والعمل فى ميدان الرجـل ؟ ألا يمكن ان تتم المساواة كل فى الحيز الذى اعده الله له ؟ وبدون أن يطغى احـدهما على اختصاص الاخر ! وهل حينئذ تصبح دعوى مساواة ام دعوى تخريب حين يقال للجندى على الحـدود : ماهذا الظلم ؟ حيث تعيش بعيدا عن اهلك معرضا للخطر ، والمرأة لاتخـرج من البيت ؟ ان المساواة تقضى ان تذهب الى البيت وان تخرج المرأة الى خط النار ، وأن يقال للعـامل : ماهذا التخلف ؟ حيث تقف وراء الالة على قدميك ساعات بينما الموظف والمدير ورئيس الدائرة والوزير يقعد ست ساعات وراء الطاولة ان المساواة تقضى ان يصبح العامل مديرا ورئيسا وان يحشر الموظفـون والرؤساء والقواد والمدراء الى المعامل ليعملوا وراء الالات هل هذه دعوة مساواة ام دعوة تخريب؟

ان الدكتور محمد عوض يعلل هذه الظاهرة بقوله : يقول علماء النفس ان هذه الظاهرة مردها الى شيء يسمونه مركب النقص ، وهو عبارة عن حالة نفسية تجعل صاحبها فى سخط على عمله ووظيفته يرى انه لم يعط العمل الذى يتفق مع كيانه وانه لو قلد الامر الذى يشتهيه لنبغ وابدع وسواء مايزعمه علماء النفس هو التعبير الصحيح أو لم يكن ، فان مهمة المرأة الحقيقية الرئيسية داخل بيتها واذا تبقى للمرأة بعد ذلك شيء من الفراغ فتستطيع ان تستغله فى الاصلاح لبنات جنسها • ولقد ثبت بالتجربة العملية ان المشكلات الاجتماعية التى نشأت عن هدم المرأة لعرشها كثيرة اهمها :

١ ــ هدم التوازن الاقتصادى والانتهاء الى ازمة اقتصادية ذلك لان المرأة حينئذ تصبح منافسة للرجل والاصل فى الرجل ان يكون مسؤولا عن عائلته واولاده •

٢ ــ انتشار العزوبة •

٣ ــ هدم الحياة العائلية وافساد العلاقات الزوجية واهمال تربية الاولاد

بهذه المناسبة اكرر العجب ايضا !

ولماذا تتطلع المرأة لكل ماهو من اختصاص الرجل ومن واجباته ؟ ترى هل عقمت البلاد من الرجال ؟ من يرشدنى الى أى ميدان من ميادين الرجل تنقصه الايدى العاملة ،ولايوجد من الرجال من يملؤه ويسد الفراغ فيه ؟ ان البلاد وخصوصا التى تزاحم المرأة فيها الرجل فى حيرة شديدة كيف توجد اعمالا لهذا الجيش من العاطلين الذى يعول كل واحد منهم عائلة تتكون من زوجة واولاد واحيانا أمهات واخوات • يحدث هذا فى الوقت الذى نجد فيه عددا ضخما من الفتيات والعاملات يشتغلن فى الوظائف والمحلات وأغلبهن لهن من يقوم برعايتهن والصرف عليهن وبرغم ذلك يعملن وينافسن الرجل ولادافع لهذا الا التقليد والاستزادة ثم يصرفن الاجور فى الترف وعلى ماتتطلبه منهن تلك المدنية الزائفة ، من كماليات متعددة ، وتبرج فاضح ، وقد ثبت بما لايدع مجالا للشك أن توظيف المرأة فى وظائف الدولة يزاحم الرجال فى ميدان عملهم وفى الوقت الذى تزدحم فيه دوائر الدولة عندهم بالموظفات نرى العديد من المتعلمين حملة الشهادات يتسكعون فى الطرقات لايجدون عملا

ان توظيف المرأة بدلا من الرجل عمل لايبرره المنطق والمصلحة ، حيث نخرج المرأة من بيتها ونأتى بها الى دواوين الدولة والمعامل والمؤسسات ، ثم نطرد الشاب من مكانه ونرده الى البيت والشارع، فهذا قلب للاوضاع، وافساد للمجتمع ، وسير بقافلة البلاد الى طريق الفوضى والازمات •

لقد تولت الفطرة السليمة تقسيم العمل بين الرجل والمرأة على نحو عادل ، فالزوجة تحمل الجنين تسعة

اشهر فى بطنها ثم ترضعه ، وتقوم على مهده ومدارج طفولته ، وجعلت القدرة الالهية ذلك وقفا عليها وحدها وأعدتها اعدادا خلقيا له لاخيار لهافى تقبله أو الفكاك منه ، وهى فى أثناء ذلك تتعرض لكثير من الضعف والالم والسقم وغيره مما يوهن عزمها ويضعف صحتها فلا تكون قادرة على اليسير من العمل . أما الرجل فقد أعفى مما أعدت له المرأة ، وأعفى تبعا لذلك من موجبات السقم والالم، فكان

عليه ان يقوم بالعمل الخارجى ويسعى فى جلب قوته وقوت عياله . فهو لايقدر على حمل الجنين فى بطنه وولادته وحضانته وارضاعه وخدمته، والحنان عليه كما تحضنه الام وتشفق عليه ، ذلك هو حكم الفطرة ، فليست المرأة اذن خادما ذلولا مسخرا لخدمة الرجل وليس الرجل معفيا من التكاليف ، ولكنهما فى تعاون معا على اداء مسؤوليات الحياة لكل منهما

نصيبه وفى ذلك بعض معنى قوله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) (١) ومن ثم ندرك حكمة اعفاء المرأة من النفقة على نفسها وجعل ذلك من واجبات الرجل ، فانه ماكان يسوغ فى منطق العدالة أن يثقلها بالحمل والوضع والرضاعة دون أن يقوم من جانبه بما يقابل ذلك من توفير النفقة لها . فنحن ازاء سياسة فاضلة تقوم بتوزيع العمل بين الزوجين على اساس

من العدالة التامة والمساواة والشورى

لقد خرجت المرأة الغربية الى السوق والمصنع والشارع والدائرة تبتغى فى ذلك لقمة العيش فماذا صنعت لنفسها من كرامة ؟ وماذا صنعوا لها ؟ لقد أرخصوها وابتذلوا انسانيتها ، فسكرتيرة المكتب فتاة جميلة ولاتغنى عنها فتاة اخرى دونها فى الجمال ، وبائعة المتجر فاتنة مثيرة لتثير رغبات الشراء ورغبات الغرائز جميعا ، والجالسة الى كيس النقود لاتصل الى عملها الا بكفاءة واحدة هى أنوثتها فى الاغراء وارضاء الزبائن فما معنى هذا ؟ معناه أن القوم يستأجرون من المرأة أنوثتها وخصائص طبيعتها لتؤدى دورا معيبا ينحرف بها عن الكرامة. ولايمت الى عوامل الاقتصاد الشريف بصلة ، او معناه انهم لم ينظروا اليها الا انها ذات أنوثة قادرة على الاثارة، فأى ابتذال للمرأة ؟ وأى سقوط لها أبشع من هذا السقوط ؟!

أهذه قيمة الانسان فى حضارة المادة ووثنية المال ؟

ان كثيرين عندنا يغالطون حين يزعمون أن مساواة المرأة لاتتم الا ان تقوم بعمل الرجل ، وأن سر قوة الغربيين واختراعاتهم فى ان المرأة تعمل عمل الرجال وانه لايجوز للمرأة ان تكون عالة على أبيها او زوجها او

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢٨)

أخيها ، واننى اقول : ان هذه الادعاءات ليست الا مغالطة ، ولا وزن لها فى ميزان المنطق السليم ، فليس الموظف الذى يقبض راتبه من خزينة الدولة يشعر أنه عالة على الدولة بل يقبض راتبه بكل كرامة واعتزاز لانه يؤدى واجبا اجتماعيا نبيلا ، والمرأة حين تكون فى بيت أبيها قبل الزواج انما تتمرس على شؤون البيت واعماله وادارته ، فهى فى عمل اجتماعى نبيل ثم اذا تزوجت بعد ذلك فهى فى عمل يستغرق كل وقتها • فهل هى حينئذ تكون عالة على زوجها ؟ ام انها ستقوم بأعمال مرهقة قد تكون اكثر ارهاقا من عمل الزوج؟ وحينئذ هل تترك عملها فى البيت لتعمل خارجه ؟ ام تقوم بالعملين معا ! ان ترك عملها فى البيت لتعمل خارجه اخلال بنواميس الحياة وخيانة للامانة التى اوكلت بالمرأة ، وفى قيامها بالعملين معا ارهاق لجسمها ، وهو ظلم منها لنفسها مابعده ظلم ، وظلم من المجتمع لها فالاسلام حين اراد منها ان تتفرغ لاعبائها وألزم زوجها او وليها الانفاق عليها انما جعل هذا حقا لها والاسلام بذلك صانها من الابتذال ، وكفاها مشقة العمل فوق عملها المرهق فهل انقلبت العناية بالمرأة فى نظرها وفى نظر من عميت بصائرهم الى احتقار وازدراء •

ان على المرأة أن تتحمل كل ماتحملته المرأة الغربية ، فى خروجها من البيت وعملها خارجه ، وعليها أن تقبل بكل النتائج فى هذا الامر ، فعليها أن تتكفل بنفقات حياتها ودراستها منذ تجاوز الخامسة عشرة وعليها ان تعمل كثيرا لتدخر ماتقدمه لمن ترغب فى الاقتران به من مال يرضيه وعليها ان تشارك الزوج بعد ذلك فى نفقات البيت والاولاد ، وعليها ان تستمر فى العمل لكسب قوتها ، ولايحق لها ان تطالب أبا او اخا او زوجا باى معونة، وعليها ان تفتش عن عمل لها اينما كان، فى المكاتب التجارية ، فى المخازن الكبرى ، فى بيع الجرائد ،فى فى تنظيف الشوارع ، فى مسح الاحذية ، فى جمع القمامة ، فى حراسة الابنية الكبيرة ، فى حمل الاثقال فى تنظيف المراحيض ، فى كل مايشتغل فيه الرجل ، وهذه اعمال نرى ونسمع عن المرأة عند غيرنا انها تقوم بها فى جميع بلاد اوروبا وفى بلاد الاتحاد السوفياتى حيث اقتحمت المرأة فى تلك البلاد كل عمل لتعيش•

هذه هى حالة المرأة فى البلاد التى يريد تقليدها بعض الذين فسدت ضمائرهم على حين أن المرأة عندنا تبقى فى بيتها يكد الرجل ليرعاها ، فاذا كانت المرأة عندنا اليوم ترغب فى العمل خارج بيتها ولاتتعرض الا لاعمال سهلة لامشقة فيها فيجب ان تنتظر الاعمال الشاقة المرهقة كالمرأة الغربية ، فمساواة المرأة بالرجل على مايزعمون من شأنها ان تجعلها تقوم بكل مايقوم به كما هو الامر عند من تريد ان تقلده •

وأهم مافي الامـــر من خطورة ان فسح المجال امام المرأة للعمل خارج البيت ينشأ عنــه تفكـــك الاسرة ، وتشرد الاطفال ، وهـــذا من أكبر العوامل في انحلال المجتمع وانهياره، وهو ماوقع فيه الغرب ودفع المفكرين منهم الى الشكوى والاعلان عن قرب انهيار حضارتهم نتيجة لذلك • يقول «أوجوست كـــونت» مؤسس علم الاجتماع الحديث في كتـــابه النظام السياسي : لو نال النساء يوما من الايام هذه المساواة المادية التييتطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن فان ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ماتفسد حالتهن الادبية لانهن في تلك الحالة سيكن خاضعات لمزاحمة قوية بحيث لايمكنهن القيام بها •

ولما كتبت زوجة هيركور الشهيرة بالمدافعة عن حقـــوق النســاء الى الفيلسوف الاشتـــراكي (برودون) تسأله عن رأيه في مسألة النساء ؟ أجابها كما يقول في كتـــابه ابتكار النظام : بان هذه الجهود المبذولة من النساء لاتدل الا على علـــة اصابت جنسهن • ثم يقول : ان حالة المرأة اذا جرت على النسق الذى تريدينه كما هو حالة الرجل فيكـــون أمرها قد انتهى لانها تصير مستعبدة مملوكة •

ويقول الفيلسوف الاقتصادى «جول سيمون» في مجلة المجلات المجلد/١٧/ كما ينقل المرحوم الدكتور مصطفى السباعى في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون)

النساء قد صرن الان نساجات وطباعات وقد استخدمتهن الحكومة وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم اسرهن تقويضا ، نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولـــكن بازاء ذلك قل كسبه لمزاحمتها له في عمله •

ويقول «أوغوست كونت» ايضا ، يجب أن تكون الحياة النسوية ،منزلية على قدر الامكان ويمكن تخليصها من كل عمل خارجي ليمكنها على مايرام أن تحقق وظيفتها الحيوية •

ويقول «جيوم فربرو» الشهير في أحوال الانسان وتطـــوراته في مجلة المجلات المجلد /١٨/ مايلي : يوجد في اوربا كثير من النساء اللواتي يتعاطين اشغال الرجال ويلجأن بذلك الى ترك الزواج بالمرة وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث •

ويقول «جول سيمون» ايضا :المرأة التي تشتغل خارج البيت تؤدى عمل عامل بسيط ولكنها لاتؤدى عمل امرأة هذه بعض اقوال الغربيين ولايتسع المجال لاكثر من هذا وانا لنذكر أن هتلر في اخر ايامـــه قد بدأ بمنح الجوائز لكل امرأة تترك عملها خارج البيت وتعود الى بيتها ، وكذلك فعل موسوليني يومئذ •

ان اهـم حجـــة يستنـد اليها المتحمسون لاشتغال المرأة خارج بيتها ، هو أن اشتغالها يزيد في الثروة

القومية وأن البلاد تخسر كثيرا بقصر عمل المرأة على اعمال البيت عدا مافيه من تعويد على الكسل وقتل وقتها بما لايفيد وتقويض هذه الحجة سهل اذا تذكرنا الحقائق التالية :

١ ـ ان اشتغال المرأة يـؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيرا سيئاباعتبار أن اشتغالها فيه مزاحمة للرجل فى ميدان نشاطه الطبيعى مما يؤدى الى نشر البطالة فى صفوف الرجال كما وقع فى جميع البلاد التى اخذت المرأة فيها طريقها الى العمل خارج البيت فى السوق والمصنع ووظائف الدولة •

٢ ـ اذا ثبت ان اشتغال المرأة يؤدى الى بطالة الرجل كان من المحتمل ان يكون ذلك الرجل الذى زاحمته أباها أو أخاها فأى ربح اقتصادى للاسرة اذا كان اشتغال المـــرأة يؤدى الى بطالة عميدها والمكلف بالانفاق عليها •

٣ ـ ان مصالح الشعوب لاتقاس دائما بالمقياس المادى فلو فرضنـــا ان اشتغال المرأة يزيد فى الثروة القومية الا أنه من المؤكد أن الامة تخسر بذلك خسارة معنوية واجتمـــاعية ومادية لاتقدر فأى الخسارتين ابلغ ضررا ؟ الخسارة المادية ام الخسارة المعنوية والاجتماعية •

ان النظر الى كل فرد فى المجتمع كآلة منتجة تهتم الدولة بزيـــادة انتاجها هو رجوع بالانسان الى الوراء الى عهود العبودية والسخـــرة وهذا مالاترضاه الانسانية الكريمة •

على أن هذه النظرة المادية لاتنطبق على واقعنا وواقع المجتمعات الاخرى حتى الشيوعية نفسها • فهنالك فى كل مجتمع فئات معطلة عن الانتاج المادى للتفرغ لامور هامة خطرة ، فالجيوش والموظفون لايزيدون فى ثروة الامة المادية وقد رضيت كل الامم ان يتفرغ الجيش لحماية البلاد، والموظفون لادارة الشؤون دون ان تلزمهم الكسب ،فهل يقال أن هذا تعطيل للثروة القومية فى البلاد ؟

ان خوض الامة معارك الدفاع عن حياتها وانتزاع حقها واستقلالها من أيدى الغاصبين ترحب به كل امة بل لاتستطيع اى امة ان تفعل غيره •فكم تلحق الامة من خسائر بشرية ومادية فى سبيل الدفاع المشروع وهل يجرؤ أحد ان يدعو الامة الى تسريح جيشها، وعدم شراء الاسلحة والذخائر وصنعها وعدم مقاومة المغيرين بحجة ان فى ذلك كله خسارة مادية واضرارا بالانتاج القومى والثروة العامة •

لاشك بان هؤلاء المنادين باشتغال المرأة خارج بيتها لا يوافقون على حرمان الامة من جهود أفراد الجيش والموظفين من الناحية الاقتصـــادية فى سبيل مصلحة أغلى وأثمـــــن من المنفعـــة الاقتصادية ،اذا كان ذلك كذلك فهل يكون التفرغ لشؤون الاسرة اقل فائدة من

تفرغ الجيش لحماية البلاد، امیریدون أن ترهق المرأة بالعملين معا ، ثم أى عاق لى يعرف خطورة رسالة المرأة فى البيت يعتبر تفرغها لاداء هذا الواجب سجنا ، فلم لانقول ان الموظف فى ديوانه والزارع في مزرعته ، بانه فی سجن ، ثم أى معنى لقول من يقول ان وجود المـــرأة فى البيت يعودها الكسل ، ان امثال هـؤلاء لايعرفون متاعب البيت واعماله ، وكيف تشكو المرأة من عنائه ، فما يمسى المساء الا وهي منهوكة القوى هـــذا اذا قامت بواجبها كما يجب •

ومن هذا ندرك ان الخطر الذى يحدق اليوم بالحضـــارة الغربية كما احدق من قبل بالحضارتين اليونانية والرومانية نتيجة عمل المرأةواختلاطها بالرجال سيحدق بنا نحن مع فارق واضح وهو ان هذه الحضارات جميعا التى كان تبرج المـــرأة وخروجها واختلاطها وعملها خارج البيت مرضا من أمراضها القاضية عليها ، قد بلغ أصحابها ذروة الحضارة عندهم ،بينما يحدق بنا الخطـــر ونحن فى بداية طريق النهوض• ومن العجيب أن يريد لنا البعض ان نبدأ من حيث انتهى غيرنا وأن نساير غيرنا فى امر أخذ يعلن انه سيقضى على حضارته ،وليس للامة مصلحة فى استجلاب هذا الخطر الى بيوتها وأسرها وهى هانئة تنعم بالاستقرار والتماسك والحب والثقة، الامر الذى لايعرفه غيرنا بعد ان تفشت فيهم تلك الامراض بل بدأوا يحنون اليه ويعلنون عن أسفهم للحرمان منه وخلاصة القول فى هذا الموضوع: اننا لابد ان نختار احد طريقين : طريق اسلامنا الذى يصون كـــرامة المرأة ويفرغها لاداء رسالتها كزوجة وأموفى سبيل ذلك يتكفل المجتمــــع ضمان حاجتها المعاشيـــــة ، وليس فى ذلك غضاضة عليها مادامت تتفرغ لاهم عمل فالمرأة التى تهز السرير بيمينها تهز العالم بشمالها •

أو بين طريقة الغرب التى ترهقها بمطالب الحياة وتجبرها على أن تكدح وتعمل لتأمين معيشتها مع وظيفتها كزوجة وام ، وبذلك تخسر نفسها، ويخسر المجتمع استقرار حياة الاسرة وتماسكها ولهذا علينـــــا ان نختار ، ونحن المسلمين مارأينا خيرا من طريق الاسلام لانه نظام الله(أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (١)فجدير بنا ان نتمسك باسلامنا لاننا لم نر نساء خيرا من نسائنا ماتمسكن بحجـابهن وتقيدن باحكام الاسلام وآداب ذلك المجتمـــع الفاضل الذى اخـــرج عائشة وأسماء وخولة ورابعة والافـــــا من المربيات الفضليات ، اللاتى ولـــــدن اولئك الرجال الذين كانوا فرسان الميادين

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠)

والمنابر ، وكانوا سادة الدنيا وقادة العالم ، وكانت النساء امهات اولئك السادة والقادة •

ولنذكر جميعا قـــول الله تبارك وتعالى (وماكان لمؤمن ولا لمؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) (١)

هذا هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال •

(سنريهم آياتنا فى الافـــاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) (٢)

---

(١) سورة الاحزاب آية (٣٦)

(٢) سورة فصلت آية (٥٣)

الأفكار الحية

ان أصحاب الاقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا ، ولـكن بشرط واحد :

أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم ، أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم ، أن يقولوا ما يعتقدون أنـــه حق ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق •

ان أفكارنا وكلماتنا تظل جثثـــا هامدة

حتى اذا متنا فى سبيلها وغذيناها بالدماء انتفضت حيـــة وعاشت بين الاحياء •

الشهيد سيد قطب